إِذَا سَعَتِ الأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ
سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعْيَ مُحْنَقِ(١)
وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَفَّقِ(٢)

الحسن في الخلائق لا في الوجه

وقال يمدحه ويذكر قصة حرب جرت بينه وبين عقيل وقشير وعلان وكلاب:
[الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَبَارِقِ
مَجَرَّ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ(٣)
وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْبَحُونَ قَنِيصَهُمْ
بِفَضْلَةِ مَا قَدْ كَسَّرُوا فِي الْمَفَارِقِ(٤)
وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ تَحْتَهُ
كَأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ فِي الْمَرَافِقِ(٥)

---

(١) و (٢) الجَدّ، بفتح الجيم: الحظ. المحنق: الغاضب. الأعداء كيدهم في نحرهم لو حاولوا زحزحة الأمير عن ذروة مجده، لانقلب الأمر عليهم، فالأمير محظوظ، وسعده يُلاحق هؤلاء القوم، والغضب يسحقهم، لأنه من حسن توفيقه الظاهر دائماً على أعدائه، لذا فلا يكفي أن التوفيق يلازم المرء، فلا بدّ له من قوّة تسانده لتكمّل عناصر النصر المؤزّر في الحياة.

(٣) و (٤) العذيب وبارق: موضعان بظاهر الكوفة. السوابق: الخيل. العوالي: الرماح. لقد عادت بالشاعر الذكرى إلى أيام اللهو، يوم كان ينزل في تلك الأمكنة العُذيب وبارق، مراتع الطفولة والشباب في العراق، فقد كان الفتيان الصعاليك يجرون رماحهم وهم يُطاردون الفرسان ويتسابقون، وهم يمتطون خيولهم، ويذبحون طرائد صيدهم بما بقي من سيوفهم، إنهم فتيان شجعان، اعتادوا على تكسير سيوفهم في مفارق الأبطال من أعدائهم.

(٥) توسّد: اتخذ وسادة، الثوية: موضع بقرب الكوفة، المرافق، الواحد مرفق: مواصل الأذرع في الأعضاد. الثرى: التراب. ومن الذكريات المحبّبة إلى قلب الشاعر أنه توسّد التراب برفقة صحبه، لقد كان التراب عابقاً بعبير عنبريّ في مرافقهم.

بِـــلادٌ إِذَا زَارَ ٱلْـــجِـــسَـــانَ بِـــغَـــيْـــرِهَـــا
حَـصَـى تُـرْبِـهَـا ثَـقَّـبْـنَـهُ لِـلْـمَـخَـانِـقِ (١)
سَـقَـتْـنِـي بِـهَـا الْـقُـطُـرْ بُـلِـيَّ مَـلِـيـحَـةٌ
عَـلَـى كَـاذِبٍ مِـنْ وَعْـدِهَـا ضَـوْءُ صَـادِقِ (٢)
سُـــهَـــادٌ لِأَجْـفَـــانٍ وَشَـــمْـــسٌ لِـــنَـــاظِـــرٍ
وَسُـــقْـــمٌ لِأَبْـــدَانٍ وَمِـــسْـــكٌ لِـــنَـــاشِـــقِ (٣)
وَأَغْـيَـدُ يَـهْـوَى نَـفْـسَـهُ كُـلُّ عَـاقِـلٍ
عَـفِـيـفٍ وَيَـهْـوَى جِـسْـمَـهُ كُـلُّ فَـاسِـقِ (٤)
أَدِيـــبٌ إِذَا مَـــا جَـــسَّ أَوْتَـــارَ مِـــزْهَـــرٍ
بَـلَا كُـلَّ سَـمْـعٍ عَـنْ سِـوَاهَـا بِـعَـائِـقِ (٥)

---

(١) المخانق، الواحدة مخنقة: القلائد. يُبدي الشاعر حبّه لموطنه؛ ترابه عنبر وحصاه تتَّخذه الحسان قلائد يتحلّين به بعد ثقبه كما يُثقب اللؤلؤ لنفاسته وجماله.

(٢) القطربلي: نسبة إلى قطربل قرية من قرى بغداد، تنسب إلى الخمرة. يذكر الشاعر أن امرأة جميلة سقته الخمر؛ حلوة الحديث، من طبعها الوعد يُستشفّ منه روح الصدق، ولكنه كذب مغلّف بغلاف الصدق، لذا فلم تفِ بوعدها.

(٣) سهاد: سهر وأرق، سُقم: مرض. الناشق: الشامّ. يصف الشاعر الحسناء بأنها لا تجعله يستسلم للنوم، فليله سهر وأرق، إنها بمثابة شمس توحي بالدفء والعلوّ، لذا فالناظر إليها يهفو إليها بحسرة ولوعة، إنه يتمنّى قربها ولكنها تتمنَّع، وهي تسبب الأسقام والأمراض لمن هام بها، إنها عبير المسك يتضوّع لمن يود شمّها ولكن هيهات أن يضمّها، ويبدو أنها من القيان التي لا يهمها سوى تحصيل المال.

(٤) الأغيد: الليّن الذي يميس في مشيه برقّة. يذكر الشاعر أنه شرب من يدي أغيد يميس في مشيه لرقته ورشاقته، إنه يمتاز بخفة روحه وجمال جسده، والناس في أمره بين فاسق يميل إليه إعجاباً بجسده، والعفيف تغويه خفّة روحه وجمال حديثه وظرفه.

(٥) المزهر: العود. العائق: المانع. يصف الشاعر حذق الفتى في عمله؛ إنه يُزاول الموسيقى، حديثه ينمّ عن ثقافة واسعة، فضلاً عن براعته بالعزف على العود، بحيث يمتلك آذان المستمعين، فيستزيدونه عزفاً، وهم في حالة انسجام تام، فلا يُلهيهم شيء عنه.

يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ
وَصُدْغَاهُ فِي خَدَّيْ غُلَامٍ مُرَاهِقِ[١]
وَمَا ٱلْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفاً لَهُ
إِذا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَٱلْخَلَائِقِ[٢]
وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ
وَلَا أَهْلُهُ الْأَدْنَوْنَ غَيْرُ الْأَصَادِقِ[٣]
وَجَائِزَةٌ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى
وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ[٤]
بِرَأْيِ مَنِ ٱنْقَادَتْ عُقَيْلٌ إِلَى الرَّدَى
وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ[٥]

---

(١) عاد: من قبائل العرب البائدة. المراهق: الفتى الذي راهق الحلم والبلوغ. ومن مزايا ذلك الفتى أنه مثقّف يعرف أخبار العرب البائدة من عهد عاد، ويحفظ أشعارهم، فيُغنّي بها وألحانه تنساب إلى الآذان والقلوب رغم أنه لم يبلغ الحلم بعد وذو خدّ ناعم.

(٢) الخلائق؛ المفرد خلق. يرى الشاعر أن جمال الهيئة إن لم يعضده جمال الأخلاق لا يُعدّ مزيّة للإنسان، بل إنه قد يكون وبالاً عليه إن لم يزينه بحسن الخلق.

(٣) الأدنون: الأقربون. الأصادق: الأصدقاء. إنها نظرة صائبة في حال كساد الأوضاع السياسية والاقتصادية في موطن المرء، ففي هذه الحالة حيثما يجد المرء كرامته ومعاشه، فيعتبر هذا المكان موطناً صالحاً له، لذا فلا الأقرباء والأصدقاء إلّا من يشعر المرء بقربهم وحبّهم له، ولو كانوا من الأباعد.

(٤) المحبّة لا تكون بمعسول الكلام بل بالإحساس الصادق النابع من القلوب الصافية الودّ؛ فالتزلّف وإظهار الودّ لا يخفى على من خبر الحياة، فالنفاق والمداهنة سرعان ما يظهر صاحبهما على حقيقته.

(٥) الردى: الهلاك. إشمات: إفراح الأعداء بمصائب أعدائهم. إسخاط: إغضاب. يسأل الشاعر عن مسبب عصيان قبيلة عقيل، إحدى قبائل قيس عيلان. وخروجهم عن طاعة سيف الدولة الذي أوقع بهم ونكّل بالكثير منهم ممّا أشمت أعداءهم بهم وأسخط الخالق تعالى عليهم.

أَرَادُوا عَـلِـيًّـا بـالَّـذِي يُـعْـجِـزُ الْـوَرَى
وَيُـوسِـعُ قَـتْـلَ ٱلْـجَـحْـفَـلِ الـمُـتَـضَـايـقِ (١)
فَـمَـا بَـسَـطُـوا كَـفًّـا إِلَـى غَـيْـرِ قَـاطِـعٍ
وَلَا حَـمَـلُـوا رَأْسـاً إِلَـى غَـيْـرِ فَـالِـقِ (٢)
لَـقَـدْ أَقْـدَمُـوا لَـوْ صَـادَفُـوا غَـيْـرَ آخِـذٍ
وَقَـدْ هَـرَبُـوا لَـوْ صَـادَفُـوا غَـيْـرَ لَاحـقِ (٣)
وَلَـمَّـا كَـسَـا كَـعْـبـاً ثِـيَـابـاً طَـغَـوْا بـهَـا
رَمَـى كُـلَّ ثَـوْبٍ مِـنْ سِـنَـانٍ بِـخَـارِقِ (٤)
وَلَـمّـا سَـقَـى الْـغَـيْـثَ الَّـذِي كَـفَـرُوا بِـهِ
سَـقَـى غَـيْـرَهُ فـي غَـيْـرِ تِـلْـكَ الْـبَـوَارِقِ (٥)

---

(١) الورى: البشر، الناس. الجحفل: الجيش العظيم. إنه كيد الأعداء الذي أثار القوم ضدّ عليّ سيف الدولة حتى تمادوا بعصيانه، والقصد منهم أن ينهكوا قوى جيشه العظيم الذي يُغطّي الأرض كثرة، والحقّ أن هذا الجيش لكثرته وقوّته، فإنه يُعجز الناس عن ملاقاته في ساحة المعركة.

(٢) ومن سوء حظ بني عقيل أنهم كانوا طعماً سهلاً لجيش سيف الدولة، لقد بسطوا أكفّهم إلى من قطعها وحملوا رؤوسهم إلى قاطعها؛ لقد استسلموا للموت طائعين لبأس قادر فقطع أعمارهم وأوردهم حتوفهم.

(٣) لقد أقدموا بأيديهم مصممين على القتال، فإذا بهم يُفاجأون بمن تصدّى لهم فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفرّوا منهزمين فلم ينفعهم هربهم، فإذا به يُلاحقهم ليقطع دابرهم.

(٤) كسا: ألبس. كعب: إحدى قبائلهم. طغوا: ظلموا وتخطوا حدودهم. السنان: الرمح. لقد كانت لسيف الدولة يد بيضاء؛ فقد أنعم عليهم، فألبسهم من نعمه، ممَّا حملهم على البطر بنعمته فكفروا بها، وطغوا، فكان جزاؤهم قتلاً وسفك دمائهم، وقد اخترقت رماحه ما ألبسهم من ثياب.

(٥) الغيث: يقصد بذلك العطاء. البوارق، الواحدة بارقة: السحب التي تبرق. يُردف الشاعر كلامه بأن سيف الدولة قدم لهم عطاءً مُغيثاً، فإذا بهم يُنكرون فضله ويتنكّرون له، فكان أن ساق إليهم جيشاً مدججاً بالسلاح تبرق طلائعه من بعيد فتثير فيهم خوفاً وتزرع في أرضهم موتاً.

وَمَـا يُـوجِـعُ ٱلْـحِـرْمَـانُ مِـنْ كَـفِّ حَـارِمٍ
كـمـا يُـوجِـعُ ٱلْـحِـرْمَـانُ مِـنْ كَـفِّ رَازِقِ (١)
أَتَـاهُـمْ بِـهَـا حَـشْـوَ الْـعَـجَـاجَـةِ وَالْـقَـنَـا
سَـنَـابِـكُـهَـا تَـحْـشُـو بُـطُـونَ ٱلْـحَـمَـالِـقِ (٢)
عَـوَابِـسَ حَـلَّـى يَـابِـسُ الـمَـاءِ حُـزْمَـهَـا
فَـهُـنَّ عَـلَـى أَوْسَـاطِـهَـا كَـالـمَـنَـاطِـقِ (٣)
فَـلَـيْـتَ أَبَـا الْـهَـيْـجَـا يَـرَى خَـلْـفَ تَـدْمُـرٍ
طِـوَالَ الْـعَـوَالِـي فِـي طِـوَالِ الـسَّـمَـالِـقِ (٤)
وَسَـوْقَ عَـلِـيٍّ مِـنْ مَـعَـدٍّ وَغَـيْـرِهَـا
قَـبَـائِـلَ لَا تُـعْـطِـي الْـقُـفِـيَّ لِـسَـائِـقِ (٥)

---

(١) يُقارن الشاعر الحرمان بوجهيه، فالحرمان بعد الإنعام أقسى على النفوس من حرمان متواصل من المرء. لقد كان سيف الدولة كريماً يبذل العطاء للقوم الذين عملوا على حرمان أنفسهم من عطائه، فاستحقوا العقاب.

(٢) حشو: ملء. العجاجة: الغبار. القنا: الرماح. السنابك: أطراف الحوافر. الحمالق، الواحد حملاق: باطن الجفن. إنها لمفاجأة جيوش تثير الأرض فيتعالى الغبار، فإذا بالرماح تخترق البطون وتبقرها وتعمي العيون فتنفذ إلى أدمغتهم.

(٣) عوابس: مقطّبة، عابسة. يابس الماء: العرق. الحُزْم، الواحد حزام. مناطق، الواحدة منطقة: الحزام يُشدّ به الوسط يصف الشاعر مجيء جياد سيف الدولة وقد أجهدها المسير، إنها عابسة مُقطّبة، وقد تجمّد العرق على أوساطها فكان كأنه إشعاع فضّة لامعة تُزيّن حزمها.

(٤) و (٥) أبو الهيجا: كنية والد سيف الدولة. تدمر: من مدن بلاد الشام، العوالي: الرماح. السمالق، الواحد سملق: متّسع من الأرض مترامي الأطراف. يتمنّى الشاعر لو أن والد سيف الدولة لا يزال حيًّا ليرى ما فعله ابنه بهؤلاء القوم في ذلك الصقع من الأرض وقد دكّت رماحه الطوال أركان ذلك المكان بمن فيه من قبائل العرب العصيّة المقاتلة التي لم تعرف الهزيمة طوال حياتها، ولم تولِّ أقفيتها هاربة.

قُشَيْرٌ وَبَلْعَجْلَانِ فِيهَا خَفِيَّةٌ
كَرَاءَيْنِ في أَلْفَاظِ أَلْثَغَ نَاطِقِ[١]
تُخَلِّيهِمِ النِّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكٍ
وَهُمْ خَلَّوُا النِّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ[٢]
يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا
بِضَرْبٍ يُسَلِّي حَرُّهُ كُلَّ عَاشِقِ[٣]
أَتَى الظُّعْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ
مِنَ ٱلْخَيْلِ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ[٤]
بِكُلِّ فَلَاةٍ تُنْكِرُ الإِنسَ أَرْضُهَا
ظَعَائِنُ حُمْرُ ٱلْحَلْيِ حُمْرُ الأَيَانِقِ[٥]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. يُعدّد الشاعر أحلاف الذين خلعوا طاعة سيف الدولة؛ منهم بنو قُشير وبنو العجلان، فقد ولّوا هاربين رغم كثرتهم وشراستهم فتفرّقوا شذر مذر، فإذا بهم يختبئون بين غيرهم من القبائل كخفاء راءين في لفظ ألثغ إذا كرّرهما.

(٢) فركت المرأة: إذا كرهت زوجها. الطوالق، الواحدة: طالق. وممَّا يدلّ على سوء حال القوم، فإذا بالنسوة يتخلّين عن أزواجهن لا لكراهتهن، والرجال تخلّوْا عن نسائهم دون طلاق، ولم يكن الأمر كراهة بينهم، ولكن لتشتتهم، فلم يعرف أحدهما الآخر.

(٣) الكماة، الواحد كميّ: البطل المدجّج بالسلاح. إنه سيف الدولة المسبب لتشتت تلك الأسر، فإذا بالأبطال بوادٍ وذراريهم ونساؤهم بوادٍ آخر، فقد ابتلاهم بضرب شديد لم يعتادوا على حرب من هذا النوع، بحيث ينسى المحبّ حبيبه، فلا ينتبه إلّا إلى نفسه مؤثراً السلامة على من عداه، فكان الهرب أسهل السبل.

(٤) و (٥) الظعن، الواحدة ظعينة: المرتحلة في هودجها. الرشاشة: الدم المنتشر. النحور، الواحد نحر: الرقاب. العواتق، الواحدة عاتق: الفتيات اللواتي أدركن في بيوت آبائهن. يصوّر الشاعر الحالة التي كان عليها النسوة وهنّ في هوادجهن؛ إنها صورة بشعة، فالمرأة العربية مصونة، وروح الفروسية تقضي من الفارس حماية النسوة ولو كنّ من الأعداء، فكيف ممن كن مسلمات؟! ومع ذلك فقد نالهن ما نال =

وَمَـلْـمُـومَـةٌ سَـيْـفِـيَّـةٌ رَبَـعِـيَّـةٌ
يَـصِـيحُ ٱلْـحَـصَى فِـيهَـا صِيَاحَ اللَّـقَـالِـقِ[١]
بَـعِـيـدَةُ أَطْـرَافِ الْـقَـنَـا مِـنْ أُصُـولِـهِ
قَـرِيـبَـةُ بَـيْـنِ الْـبَـيْـضِ غُـبْـرُ الْـيَـلَامِـقِ[٢]
نَـهَـاهَـا وَأَغْـنَـاهَـا عَـنِ الـنَّـهْـبِ جُـودُهُ
فَـمَـا تَـبْـتَـغِـي إِلَّا حُـمَـاةَ الْـحَـقَـائِـقِ[٣]
تَـوَهَّـمَـهَـا الأَعْـرَابُ سَـوْرَةَ مُـتْـرَفٍ
تُـذَكِّـرُهُ الْـبَـيْـدَاءُ ظِـلَّ الـسُّـرَادِقِ[٤]

= الرجال من تنكيل، فإذا بالدماء تُلطخهن برشاشها في نحورهن، وقد جدّ القوم في اختراق الصحراء حتى وطئت أقدامهم فلاة لم يسبق لمخلوق من البشر أن وطئها، والنساء في هوادجهن تحملها الحمر من النياق الكرام، وحليهن الذهب، ومع ذلك فقد أدركهم سيف الدولة بجنده، فلم ينفعهم الهرب من قبضته.

(١) الملمومة: الكتيبة من الجيش المجتمعة. سيفية: جند سيف الدولة يُنسبون إليه. ربعيّة: تنسب إلى قبائل ربيعة. اللقالق، الواحد لقلق: طير مائي أبيض موطنه الصيفي العراق. يصف الشاعر فرق الجيش المنتسبة إلى سيف الدولة، إنها ملمومة، سيفية، ربعيّة، ينبعث صوت من حوافرها إذا وطئت الحصى شبيه بصوت اللقالق.

(٢) القنا: الرماح. البيض، الواحدة بيضة: الخوذ يلبسها المحاربون برؤوسهم. اليلامق، الواحد يلمق: الدروع. يصف الشاعر سلاح جند سيف الدولة؛ بأيديهم رماح طوال تباعدت أطرافها من أصولها، ولكثرتهم تضيق بهم المسافات ويزدحمون، وقد علاهم الغبار لما تثيره خيلهم من الغبار. لقد ظنّ القوم أن تلك المفازة مانعتهم من جند الأمير فخاب ظنّهم.

(٣) يروى «سيبه» بدلاً من «جوده». الجود: الكرم. النهب: السرقة. تبتغي: تريد، تقصد. حماة الحقيقة: الأبطال الشجعان. يصف الشاعر سيف الدولة بكرم الأخلاق، فقد منع جنده من نهب القوم، فقد قصد قتل الأبطال الشجعان ليكون هو الحامي للقوم، وليتخلّص من كيدهم، فضلاً عن أنه يُربّي غيرهم بهم فيرتدعون ويتوقّفون عن الكيد له.

(٤) السَّورة: الوثبة. الأعراب: سكّان البادية. البيداء: الصحراء. السرادق: ما يدار حول الخيمة من غرف بلا سقوف. يعلّل سوء ظن هؤلاء الأعراب، فقد اعتقدوا أن سيف =

فَـذَكَّـرْتَـهُـمْ بِـالـمَـاءِ سَـاعَـةَ غَـبَّـرَتْ
سَـمَـاوَةُ كَـلْـبٍ فـي أُنُـوفِ ٱلْـحَـزَائِـقِ (١)
وَكَـانُـوا يَـرُوعُـونَ الـمُـلُـوكَ بِـأَنْ بَـدوْا
وَأَنْ نَـبَـتَـتْ فـي الـمَـاءِ نَـبْـتَ الْـغَـلَافِـقِ (٢)
فَـهَـاجُـوكَ أَهْـدَى فـي الْـفَـلَا مِـنْ نُـجُـومِـهِ
وَأَبْـدَى بُـيُـوتـاً مِـنْ أَدَاحِـي الـنَّـقَـانِـقِ (٣)
وَأَصْـبَـرَ عَـنْ أَمْـوَاهِـهِ مِـنْ ضِـبَـابِـهِ
وَآلَـفَ مِـنْـهَـا مُـقْـلَـةً لِـلْـوَدَائِـقِ (٤)

= الدولة قد اعتاد راحة البال وعدم المخاطرة شأن غيره من الأمراء والملوك الذين يركنون إلى الدعة، فإذا به يُفاجئهم في تلك الأصقاع المتنائية وينال منهم.

(١) غبرت: أثارت الغبار. السماوة: بادية بين بلاد الشام والعراق، بناحية العواصم. الحزائق، الواحدة حزيقة: الجماعة. يُخاطب الشاعر ممدوحه إنه صبور على العطش شأن غيره من الأعراب، فقد ذكّرهم حالما أدركهم بخيوله التي أثارت الغبار في تلك البادية وقد ملأت خياشيمها رائحة التراب الجاف حيث لا ماء هناك.

(٢) يروعون: يُخيفون. بدوا: سكنوا البادية. الغلافق، الواحدة غلفق: الطحالب. لم يُصب ظنّ هؤلاء البدو الذين ألفوا حياة شظف البادية، واعتادوا على قلّة الماء، كبد الحقيقة، فسيف الدولة ابن البادية، وقد اعتاد شظف العيش فيها؛ فليس شأنه شأن سائر الملوك الذين نشأوا إلى جانب الأنهار ومنابع المياه.

(٣) الفلا، الواحدة فلاة: المفازة. أبدى: أظهر. أداحي، المفرد أدحى: موضع مبيض النعام في الرمال. النقانق، الواحد نقنق: الظليم، ذكر النعام. ينوّه الشاعر بمعرفة الممدوح بعالم تلك الصحراء؛ فإذا بالقوم يُثيرون غضب الأمير، ظانين أنه لن يقوى على حرّ الهاجرة في الصحراء، فإذا به يهتدي إلى مواقعهم، حتى تفوّق على النجم، وكان أظهر بيوتاً فيها من مبيض النعام التي تدحو بيضها في الرمال، وهو في ذلك لم يتّبع مواطن الأشجار ليستظل بها؛ بل إنه يواجه الشمس بحرّها دون وجل أو خوف.

(٤) الأمواه: المياه. الضباب، الواحد ضبّ: ضرب من السنوريات صغير الحجم. الإلف: العادة. الودائق، الواحدة وديقة: الحرّ الشديد. يُردف الشاعر قوله مخاطباً =

وَكَـانَ هَـدِيـراً مِـنْ فُـحُـولٍ تَـرَكْـتَـهَـا
مُـهَـلَّـبَـةَ الأَذْنَـابِ خُـرْسَ الـشَّـقَـاشِـقِ[١]
فَـمَـا حَـرَمُـوا بِـالـرَّكْـضِ خَـيْـلَـكَ رَاحَـةً
وَلٰـكِـنْ كَـفَـاهَـا الْـبَـرُّ قَـطْـعَ الـشَّـوَاهِـقِ[٢]
وَلَا شَـغَـلُـوا صُـمَّ الْـقَـنَـا بِـقُـلُـوبِـهِـمْ
عَـنِ الـرَّكْـزِ لٰـكِـنْ عَـنْ قُـلُـوبِ الـدَّمَـاسِـقِ[٣]
أَلَـمْ يَـحْـذَرُوا مَـسْـخَ الَّـذِي يَـمْـسَـخُ الْـعِـدَى
وَيَـجْـعَـلُ أَيْـدِي الْأُسْـدِ أَيْـدِي ٱلْـخَـرانِـقِ[٤]

= سيف الدولة منوّهاً بشدّة صبره على العطش الشديد، فحتى الضباب رغم قلّة طلبها للماء، فإنها لا بدّ أن ترده، وقد تبيّن للقوم أن الأمير قد اعتاد على احتمال شدّة الحرّ في الهاجرة.

(١) الهدير: صوت الجمل إذا ردده في حنجرته. المهلبة: المقطوعة الهلب وهو شعر الذنب. الشقاشق، الواحدة شقشقة: لهاة البعير تتدلّى عند هيجانه. يُخاطب الشاعر سيف الدولة أنه قدر على أناس يهدرون كالفحول فأسكتهم وأذلّ كبارهم، وقد ظفر بهم فكانت الغلبة له عليهم.

(٢) الشواهق، الواحد شاهق: الجبل المرتفع. يُخاطب الشاعر سيف الدولة بأنه في ملاحقة الأعراب في بواديهم لم يُرح خيله، لأنه لو لم يقم بذلك العمل لكان استعاض عنه بمهاجمة بلاد، فكان على خيوله أن تتسلّق جبالهم المرتفعة، فالأمر سيان لا راحة لجنده وخيوله.

(٣) الصم: الصلبة. القنا: الرماح. الدماسق، الواحد دمستق: قواد الروم. يُردف الشاعر فكرته أن سيف الدولة دائم القتال، فرماحه الصلبة شغلتها قلوب الأعراب ولم تهدأ وتركّز في التراب لتأخذ قسطاً من الراحة، عن قلوب أعدائه من الروم لتتخذ من الدماسق أهدافاً لها.

(٤) المسخ: قلب صورة الإنسان إلى أقبح منها. الخرانق، الواحد خرنق: صغار الأرانب. يسأل الشاعر مستنكراً على القوم قلّة حذرهم، فإذا بهم يُمسخون على أيدي بطل مغوار إلى أرانب صغيرة يفرّون لجبنهم عند أصغر صيحة بعدما كانوا أسوداً ترتعب لها الأبدان.

وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا
أَرَى مَارِقاً فِي ٱلْحَرْبِ مَصْرَعَ مَارِقِ[١]
تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ ٱلْحَبَّ خَيْلُهُ
إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَائِقِ[٢]
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا
مِنَ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ[٣]
لَوَفْدُ نُمَيْرٍ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمُ
وَقَدْ طَرَدُوا الأَظْعَانَ طَرْدَ الْوَسَائِقِ[٤]
أَعَدُّوا رِمَاحاً مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا
بِهَا ٱلْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ[٥]

---

(١) مصرع: مقتل. المارق: الخارج عن الطاعة. ما يستغرب المرء أن القوم قد شاهدوا أفعال سيف الدولة بغيرهم من العصاة، وكيف نكّل بهم، وقد شهدوا مصارع أعدائه، وللأسف لم يعتبروا بما سيؤول إليه أمرهم إذا خلعوا طاعته عنهم، فكانوا كسواهم من أعدائه فنالهم ما نالهم بأيديهم.

(٢) و (٣) القضم: أكل ما يبس من المأكول. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. العلائق، الواحدة علیقة: المخلاة تعلّق برقبة الدابة. جنوبها: جوانبها. من عادة خيول الأمير أن تُعلّق مخاليها في رقابها، وفي بعض الحالات فإنها ترفعها إلى أمكنة أعلى، ولكثرة القتلى وازدحام الأرض بها كان عليها أن ترفعها على رؤوس القتلى لتقضم علفها. وكان عليها أيضاً أن ترد الغدران لتشرب، فإذا بمياهها قد تغيّر لونها ولم يعد صافياً، فقد صبغته الدماء بلون الريحان المائل إلى اللون الأحمر.

(٤) و (٥) الوفد: القوم الماثلون بين يدي الأمير. الأظعان: النسوة في هوادجهن. الوسائق، الواحدة وسيقة: الجماعة من الإبل. يذكر الشاعر أن بني نمير، إحدى بطونهم، لم يُقاتلوا معهم، فقد استعملوا عقولهم، فكان أن أعلنوا خضوعهم ووفد زعماؤهم على الأمير خلاف المتمرّدين الذين حملوا نساءهم على هوادجهن مصمّمين على العصيان والقتال، أما الوافدون فقد أعدّوا سلاحاً أكثر فعالية مع حليم يصفح الصفح الجميل فأعلنوا نيّتهم بالخضوع، فإذا بعفو الأمير يحلّ محلّ سيوفه معهم، وبذلك حجبوا دماءهم وصانوا أعراضهم بأيسر سبيل.

فَـلْـم أَرَ أَرْمَـى مِـنْـهُ غَـيْـرَ مُـخَـاتِـلٍ
وَأَسْـرَى إِلَـى الأَعْـدَاءِ غَـيْـرَ مُـسَـارِقِ[١]
تُـصِـيـبُ الـمَـجَـانِـيـقُ الْـعِـظَـامُ بِـكَـفِّـهِ
دَقَـائِـقَ قَـدْ أَعْـيَـتْ قِـسِـيَّ الْـبَـنَـادِقِ[٢]

(١) المخاتل: المخادع. المسارق: من يتوقّع غفلة من عدوّه ليثب عليه. ينوّه الشاعر بمقدرة الأمير الفائقة في الحروب، إنه مثال الفارس العربي الحقّ، إنه لا يغدر بعدوّ، بل إنه يسري بجيشه علانية لمقاتلة أعدائه لثقته بالنصر.

(٢) المجانيق، الواحد منجنيق: آلة ترمى بها الأحجار لدك الحصون والقلاع. الدقائق: الأشياء الصغيرة. أعيت: أتعبت. البنادق، الواحدة بندقة: هنات من الطين دائرة الشكل ترمى بها الطيور لاصطيادها. وما يدلّ على مهارة الأمير العالية أنه يستطيع إصابة هدفه بدقّة عجيبة عندما يستعمل المجانيق رغم أنها ترمي بكلّ اتجاه، فلا تُحسن إصابة أهدافها بدقة وحتى من يرمي النبال قد لا يُوفّق فيُصيب أهدافه كما يفعل الأمير.